ملامح الوعي بتقنيات الكتابة السيرية
"من مشاوير الحياة لحجاب الحازمي أنموذجا"

أ.د. محمد بن حمود حبيبي

أستاذ الأدب والنقد بقسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة جازان

ملخص الورقة:

تسعى هذه الورقة إلى الوقوف على ملامح الوعي بتقنيات الكتابة السيرية في كتاب "من مشاوير الحياة، سيرة إنسان ومسيرة مجتمع" للأستاذ حجاب بن يحيى الحازمي. حيث عنيت الورقة في قسمها الأول بتتبع ملامح الوعي النظري لدى المؤلف بحسب ما جسده حديثه المباشر في مقدمة الكتاب، وإشاراته فيها إلى جوانب من قراءاته واطلاعه على أساليب عدد الكتب المؤلفة في السيرة الذاتية محليا وعربيا، ومناقشته وملاحظاته على أساليب بعض منها. إلى جانب محاولة الورقة الكشف عن معززات ذلك الوعي النظري لدى المؤلف بجماليات الكتابة السيرية في أطروحاتها النظرية، ومدى استفادة المؤلف من مراجعات الدارسين لكتب السيرة وملاحظاتهم عليها، وانعكاسات ذلك على الكتاب واسلوب المؤلف.

وتحاول الورقة في قسمها الثاني استخلاص النقاط التي تمثل جوانب تطبيق ملامح الوعي بتقنيات الكتابة السيرية لدى المؤلف في اتجاهين الأول: في شكل إخراج الكتاب وتنظيم محتواه وأقسامه، وكيفية التعامل مع محتواه تقسيما متوازيا وعنونة، وطريقة معالجته للوثائق والصور الموظفة في متن الكتاب وملاحقه. والاتجاه الثاني: عبر انعكاس ملامح الوعي لدى المؤلف على أسلوبه في عرض مضامين الكتاب، وتبنّيه لعدد من التقنيات كالاختصار والاختيار والاعتماد على الأسلوب السردي وغيرها من التقنيات التي سعت الورقة إلى تتبعها.

مقدمة:

يأتي اختيار عنوان هذه الورقة "ملامح الوعي بتقنيات الكتابة السيرية، من مشاوير الحياة لحجاب الحازمي أنموذجا" انطلاقا مما يمثله التأليف في السيرة الذاتية من خصوصية يكاد يتفرد بها هذا الجنس الكتابي عن غيره. فأغلب موضوعات التأليف عامة، وأجناس الإبداع شعرا وسردا هي مما يمكن أن تتعدد بها تجارب المؤلف الواحد، ويكون له فيها فرص تأليف متعددة، تتطور معها تجربته ونضجه وخبراته ما بين إصدار أول وثان وثالث... إلخ ، بحيث يتمكن لاحقا من تطوير تجربته وخبراته. باستثناء التأليف في جنس السيرة الذاتية الذي لا يحدث في حياة المؤلف – غالبا - سوى مرة واحدة. الأمر الذي يتطلب جهدا واستعدادا مختلفا قبل وأثناء التأليف فيه عن غيره من الجهود والاستعدادات التي تتطلبها المؤلفات الإبداعية في سائر الأجناس الإبداعية الأخرى، وكذلك سائر مجالات التاليف العلمية الأخرى لدى المؤلف نفسه.

ونظرا لما تميز به كتاب "من مشاوير الحياة، سيرة إنسان ومسيرة مجتمع" للأستاذ حجاب بن يحيى الحازمي من مؤشرات توحي باستفادة مؤلفه من اطلاعه على المؤلفات السابقة عليه في هذا المضمار، واستفادته مما كتب عن هذه المؤلفات من مراجعات ودراسات نقدية، جعلته يفيد كثيرا في بناء كتابه شكلا ومضمونا، ليخرج على نحو فيه تميز وخصوصية تطبعانه بطابع لافت، من حيث التقنيات التي انتهجها المؤلف في الكتاب – نظرا لذلك تصب هذه الورقة اهتمامها على تتبع ملامح الوعي بتقنيات الكتابة السيرية في هذا الكتاب على وجه التحديد.

ومن هنا جاءت هذه الورقة موزعة في مخططها البحثي على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة. تناولت في المقدمة أسباب اختيار موضوع الورقة ومخططها البحثي، وتناولت في التمهيد أسئلة الورقة المتعلقة بجنس السيرة الذاتية وطرفا من الإشكاليات المتعلقة به، وما يميز التأليف في جنس السيرة الذاتية عن غيره من أجناس الإبداع الأخرى. ثم تناولت الورقة في المبحث الأول منها: ملامح الوعي النظري لدى المؤلف من خلال مقدمة الكتاب، وعبر تجلي انعكاسات الوعي لديه بجماليات الكتابة السيرية المكتسبة من قراءاته في مؤلفات السيرة ومن قراءاته في الدراسات والمراجعات النقدية لأطروحات الدارسين المختصين بالسيرة الذاتية. وقد تجلت هذه الملامح في عدد من العناصر كالقراءة والاطلاع على كتب السيرة الذاتية ومستويات تلك القراءة لدى المؤلف، وانتقاد المؤلف لبعض أساليب كتاب السيرة ووقوع عدد منهم في دائرة التشابه ومحاولته الخروج على هذه الدائرة وغير ذلك من العناصر.

وفي المبحث الثاني تحاول الورقة في القسم الأول من المبحث: تتبع جوانب الوعي المنعكسة على صناعة الكتاب في تبويبه وتقسيمه وصفّه، وأثر الإعداد والتخطيط المبكر لتأليفيه على خطة تأليف الكتاب، وتقسيمه إلى ما يقارب التبويب المنهجي المتوازن في حجم المادة بكل قسم. واتساق ذلك مع مراحل حياة المؤلف وتنوع اهتمامته. وكذلك انعكاس جوانب الوعي في تقنيات التأليف لديه من حيث العناية بشكل الكتاب الإخراجي؛ ككيفية توظيف وتوزيع الصور والوثائق التي يشتمل عليها الكتاب مع مضامين متن الكتاب. وطريقة المؤلف في اختزال الصور إخراجيا على نحو لم يؤثر على حجم الكتاب، وعدد صفحاته الكلي. وفي القسم الثاني من المبحث الثاني ترصد الورقة انعكاسات وعي المؤلف بتقنيات التأليف في السيرة وتجليها عبر عدد من العناصر في أسلوب المؤلف، كالعناية بالعناوين الداخلية، وتوظيف النزعة

السردية في عدد من الصيغ والتعابير التي تجلت في عتبات الكتاب وعناوينه. وفي متنه من حيث الاعتماد على أسلوب التشويق في صياغة العناوين، وأسلوب الحبكة القصصية في صياغة الأحداث والمواقف. والاعتماد على تسلسل الأحداث زمنيا، وتنويع ضمائر الراوي السارد. إلى جانب تقنيات الاختيار لأهم الشخصيات والأحداث المؤثرة من كل مرحلة. ونهج المؤلف في اعتماده على التبويبات المتنوعة للمضامين مرحليا زمنيا وموضوعاتيا. وحسن توزيع المحتوى في شكل متقارب بين أقسام الكتاب. وصولا إلى تقنية الاستفادة من تقديم ملخصات موجزة على هيئة المسارد "البيبلوجرافية" التي تفهرس في آخر الكتاب لأهم محطات حياة المؤلف، بمختصرات موجزة. وتطرق المبحث في نهايته إلى توظيف المؤلف للملاحق في آخر الكتاب. ومن ثم تختتم الورقة بالخاتمة التي تسلط الضوء على أهم النقاط التي توصلت إليها الورقة.

تمهيد:

لماذا يعد التأليف في السيرة الذاتية عملا صعبا وليس بالسهل؟ مع أن مضمونها من أسهل المضامين؛ كاتب أو مؤلف ما، يكتب عن حياته؟! ولماذا يتميز التأليف في جنس السيرة الذاتية الفنية عن غيره من الأجناس الأدبية؟! وهل لذلك علاقة بمفهوم هذا الجنس الكتابي؟

ترى الكاتبة "ليندا بترسون" في كتابها "تقاليد السيرة الذاتية في القرن التاسع عشر" إنها - أي السيرة الذاتية - جنس غير مستقر، وجنس هجين، وهذه الهجنة، ربما هي التي قادتها إلى مصطلح "كتابة الحياة" فاستخدمته عنوانا فرعيا" (زايد،٢٠٠٨،ص١٥٧). وينفتح مفهوم السيرة الذاتية لدى "لوجون فيليب" على عدد من الأجناس الكتابية: الرواية والقصيدة والمقالة، مشيرا إلى أن ذلك ممكن "مادام قصد فيه الكاتب بشكل ضمني، أو صريح إلى رواية حياته أو شيء منها، وعرضِ أفكاره، أو أحاسيسه"(آل مريع،٢٠١١، ص٤٦-٤٧). ويميل بعض الدارسين في تعريف السيرة الذاتية إلى تبسيط مفهومها على النحو الذي يرى فيه "عبد العزيز شرف" بأنها "عمل أدبي يخضع لشروط الجنس التي تقتضي الاختيار والحذف والتبديل" (شرف، ١٩٩١، ص١٩). أو على النحو الذي جمع فيه "عبد الله الحيدري" أكثر من تعريف من تعريفات الباحثين في قوله: "السيرة الذاتية: "سرد متواصل يكتبه شخص ما عن حياته الماضية" (الحيدري، ٢٠١٨، ص٢٧).

يتميز جنس السيرة الذاتية عن الأشكال المقاربة له مما يندرج ضمن الكتابة عن الحياة كأشكال كتابة المذكرات واليوميات والاعترافات، والمدونات، بأن هذه الأشكال في أصلها كتاباتٌ ذاتُ طابع وقتي قد يستفاد منها لاحقا عند الشروع في تأليف سيرة ذاتية لكنها وفق تلك الأشكال التي كتبت بها لا تعد سيرا ذاتية. فالسيرة الذاتية تتميز عن ذلك كما تتميز أيضا عن الترجمة الذاتية غير المباشرة "التشكيلية" (الشنطي ١٤٢٤، ص٣٤١-٣٤٢)، التي تكتب السيرة فيها بشكل غير مباشر، من خلال ما يعرف برواية السيرة الذاتية(قاموس الأدب والأدباء،١٤٣٥، ٨٢٠/٢). وتتميز السيرة الذاتية أيضا عن الترجمة الفنية التي يركز فيها الكاتب على تفسير رحلته الفنية وتطور قدراته الأدبية. كما تتميز بطبيعة الحال عن كتابة المؤلف حول شخصيات أخرى على سبيل الترجمة الغيرية. (الشنطي ١٤٢٤، ص٣٣٩-٣٤١).

والسيرة الذاتية "الفنية" لها مواصفاتها واحترازاتها الخاصة. فـ"ليست كل كتابة سيرية تجسد سيرة ذاتية فنية، فهناك فارق بين أن يسجل المرء ما مر به في حياته عبر مراحلها المتعددة تسجيلا تاريخيا تقريريا يميل فيه إلى السرد وتقرير الحقائق، وأن ... يروي لنا قصة حياته بأسلوب مشوق، مترابط الأحداث، مصورا الصراع الداخلي بدقة، وقائما على التفسير والتحليل للحوادث، متضمنا الاعتراف ببعض الأخطاء، أو القرارات المتسرعة التي اتخذها في حياته." (الحيدري، ١٤٢٣، ص٢٠٤.)

لذلك يختلف جنس السيرة الذاتية الفنية عن غيره من الأجناس الأدبية "شعرا وسردا" للاعتبارات السابقة ولعدة اعتبارات أخرى منها؛ أنه جنس يتطلب عددا من المقومات المطلوب توفرها قبل الشروع في خوض غماره. فهو جنس منصف ومجحف بحق صاحبه في آن واحد.

منصف لصاحبه من حيث تخليده لمسيرته وإسهاماته وجمعها في سياق كتاب واحد بقلم صاحب السيرة نفسه. ومجحف بحق صاحبه بسبب من سمات الجنس نفسه، فالكاتب لا يؤلف أكثر من كتاب واحد في هذا الجنس خلال حياته. ومهما تعددت أجزاؤه، وتعددت طبعاته، يظل تطوير هذا الكتاب لاحقا محدودا على المؤلف. وهذا أحد أهم الاختلافات الجوهرية لجنس السيرة الذاتية عن غيره من الأجناس الأدبية الأخرى؛ لأنه يقتضي ممن يرغب الخوض فيه أن يؤمن بأنه جنس فرصة التأليف لمرة واحدة. وجنس تقديم الذات للآخرين وفق اشتراطات معينة؛ إذ ينبغي أن يكون لدى هذا المؤلف ثقة في أن ما لديه من نتاج وخبرات ومواقف يمثل تراكمَ مراحلِ حياة عملية، ونتاجا علميا وأدبيا يستحق نقل التجربة فيه للعيان. وأن تكون لدى المؤلف المقدرة على التحلي بسمة الموضوعية في سياقِ حديثٍ منابعُه وذخيرةُ مادتِهِ الذات. والجمع بين هاتين السمتين أصعبُ عناصرِ الكتابةِ في هذا الجنس. إذ كيف يمكن للمؤلف أن يكون موضوعيا تماما في الحديث عن ذاته؟ وهل مستوى الموضوعية الذي يراه المؤلف بمنظاره سيكون كذلك في نظر الآخرين ولا سيما ممن يقرأون حديثه وتحليله لموقف تشاركوا فيه معه؟! وكيف سيكون حكم بعض القراء الذين تجمعهم مع المؤلف خلفية معرفة مشتركة ومختلفة في آن واحد على بعض المواقف التي يرويها من منظوره؟!

في هذا الخضم من الأسئلة والمقولات المتداخلة تنطلق هذه الورقة لتقارب تقنيات التأليف في كتاب "من مشاوير الحياة.. سيرة إنسان ومسيرة مجتمع" للأديب الأستاذ حجاب بن يحيى الحازمي.

المبحث الأول: ملامح الوعي النظري لدى الحازمي بالتأليف في السيرة الذاتية:

١- قراءات المؤلف في كتب السيرة الذاتية: مستوياتها، وانعكاساتها:

تتجلى ملامح الإلمام بمؤلفات السيرة الذاتية في مقدمة كتاب "من مشاوير الحياة.. سيرة إنسان ومسيرة مجتمع" للأديب القدير الأستاذ حجاب بن يحيى الحازمي من خلال الإشارات الصريحة المتواترة في مقدمة الكتاب إلى حرصه على الاطلاع وقراءة عدد من مؤلفات السيرة الذاتية ولا سيما الصادرة منها عن أدباء المملكة العربية السعودية إجمالا وأدباء منطقة جازان على وجه الخصوص. وهو ما نص عليه بقوله:

"عدتُ إلى بعض السير المطبوعة على مستوى وطننا الحبيب، المملكة العربية السعودية، مع الاهتمام بالاطلاع الواسع على بعض السير الذاتية الصادرة عن أدباء وكتاب من أبناء منطقة جازان، فقرأت عددا مما وقع تحت يدي من تلك السير الذاتية، بهدف الاطلاع، والإفادة من أساليب الراسخين منهم – قدر الإمكان – وبخاصة في صياغة مقدماتهم وخواتيمهم، وفي وقوفهم عند بعض المحطات الإنسانية"(الحازمي،١٤٤٢،ص٧).

إن الاطلاع الذي أشار إليه "الحازمي" كما سيبدو، لم يكن واقفا عند مستوى القراءة العابرة السريعة، أو القراءة المهنية الجزئية التي حاول أن يصورها المؤلف بكونها من أجل الإفادة من مقدمات وخواتيم تلك المؤلفات في صياغة مقدمة كتابه. بل الواضح أن تلك القراءات بلغت مستويات أعلى من ذلك المستوى الذي أشار إليه المؤلف في المقطع السابق، حينما أردف ذلك المقطع بقوله:

"لاحظت وجود تشابه كبير في الأساليب، ربما لتشابهٍ في الظروف والأحوال! وذلك التشابه ليس في سرد السير فحسب، بل في جوانب أخرى مختلفة، كما أن ذلك التشابه ليس خاصا بكتّاب مناطق بلادنا بل – ربما – وجدنا شيئا منه على مستوى كتاب الوطن العربي من محيطه إلى خليجه، حيث لاحظت ذلك في عدد مما قرأته من سير ذاتية لمجموعة من الكتاب"(الحازمي،١٤٤٢،ص٨).

يمثل عنصرا الاطلاع والقراءة لعدد من نماذج مؤلفات السيرة الذاتية محليا وعربيا، واتساع دائرتيهما **العنصر الأول** في تأسيس الخلفية المعرفية بعوالم هذا الجنس المختلف لدى المؤلف. ويأتي **العنصر الثاني** التالي لعملية القراءة والاطلاع متمثلا في ملاحظات المؤلف النقدية لأساليب كتاب جنس السيرة الذاتية، وهو ما يستنتج من قوله "لاحظت وجود تشابه كبير في الأساليب" فهذه الملاحظات تفيد بأن قراءته واطلاعه لم يكونا بشكل عابر، بل وصلا إلى مرحلتي الفرز والانتقاد، وهما مستويان متقدمان من الوعي بالمضامين المطروحة في كتب ومؤلفات السيرة. ليس المضامين فحسب، وإنما أساليب وطرق البدء وعرض هذه المضامين.

أما **العنصر الثالث** من عناصر مؤشرات الوعي النظري بجنس الكتابة السيرية لدى الأستاذ حجاب الحازمي فيتمثل في الرغبة التي أفصح عنها في مقدمته وهي رغبته في محاولة الخروج عن "السائد والمألوف" في البدايات التي صارت تشكل "بوتقة" متشابهة لدى مؤلفي كتب السيرة الذاتية. وهو ما عبر عنه بقوله: "حاولت أن أخرج - ولو قليلا - من هذه البوتقة

فأبدأ بكتابة سيرتي الذاتية بأسلوب قد يختلف - ولو قليلا - عن تلك الأساليب، وفي اختلافه - إن وجد - ربما سيكون عنصر جذب للقارئ"(الحازمي،١٤٤٢،ص٨).

ولئن حرص المؤلف هنا على الاحتراز بوصف رغبته في الخروج عن السائد والمألوف "بالمحاولة"، وخلّل هذا الوصف التوضيحي ثلاث جمل معترضة احترازية هي قوله: "ولو قليلا" التي كررها مرتين، وجملة "إن وُجِد" وأداة الاحتمال "ربما" وكلها أساليب مفرطة في تسييج رغبته تلك بتواضع كبير – لئن حرص المؤلف هنا على ذكر هذه الاحترازات التي تقلل مما يعده خروجا عن السائد والمألوف فإنه يشير في ختام مقدمته بما يؤكد بثقة أكبر إلى أنه سيترك لقلمه حرية السرد من غير أن يقيده بالسير على خطى التقليد لخط سير معين ترسمه آخرون، أو تقليد من سبقه من الكتاب. وهو ما نص عليه في قوله: "تاركا لقلمي حرية السرد، من غير أن أقيده بترتيبات معينة، أو السير على خط سير معين، ترسمه آخرون، أو التقليد لبعض من سبقني من كتاب السير الذاتية الأعلام - مع كامل تقديري لهم - (الحازمي،١٤٤٢،ص١٠).

إن هذا المستوى – ولا شك – من الوصف يعكس حجم الثقة بالنفس لدى المؤلف من خلال الاستعداد القرائي والاستيعاب لمحتويات عدد كبير من مؤلفات السيرة التي زرعت الثقة في نفسه بإمكاناته وبقدراته وبما لديه من مضامين ورغبة في مغايرة السائد والمألوف. ولو على الأقل من حيث البداية المختلفة.

ويأتي **العنصر الرابع** من عناصر مؤشرات الوعي النظري بفن كتابة السيرة الذاتية متمثلا في وضوح مخطط الكتاب في ذهن المؤلف وحديثه عنه في مقدمته. مع أن بداية حديثه عن مخطط الكتاب استهله بجملة توحي بتراجعه عما ذكره في المقطعين السابقين، رغبة الخروج عن السائد والمألوف، وعدم تقييد قلمه بتقليد من سبقه من كتاب السيرة.. مسوغا هذا التراجع برغبة جديدة ملحة هي الرغبة في التصالح مع عادات كتابة السيرة الذاتية المتبعة والعودة للمألوف والسائد: حيث يقول - وهنا المقتبس به بعض الطول لأن فيه فرصة للإفصاح عن مخطط الكتاب وموضوعاته - يقول:

> "وأمام الرغبة الملحة في التصالح مع عادات كتابة السيرة الذاتية المتبعة، والعودة إلى المألوف والسائد، فقد قررت العودة إليها بحيث أبدأ كتابة سيرتي الذاتية باسمي الرباعي، ومكان وزمان ولادتي، مع الحديث عن أسرتي التي نشأت في رعايتها، فتولت تربيتي وتعليمي الأساسي المبكر... ثم أعود بعد ذلك إلى الحديث عن مسقط رأسي، مدينة ضمد، فأتحدث عنها من حيث موقعها الجغرافي... ومن حيث الموقع الثقافي... ثم أتناول بشيء من التفصيل أهم الجوانب الحياتية التي أدركت كثيرا منها وفي مقدمتها: الحياة الاجتماعية، والحياة العمرانية، والحياة الاقتصادية"الزراعية"... ثم أواصل حديثي بعد ذلك في كتابة سيرتي الذاتية ومسيرتي الحياتية والثقافية والاجتماعية...". (الحازمي،١٤٤٢،ص١٠).

وتمثل الإشارة إلى أن الكتابة في جنس السيرة الذاتية أحد أشكال الكتابة المعتمدة على السرد تمثل هذه الإشارة **العنصر الخامس** من عناصر مؤشرات الوعي النظري بفن كتابة

السيرة الذاتية وهي ما نص عليه المؤلف في مقدمته بقوله: "لأن هذه الجوانب – في نظري – تمثل جزءا مهما من حياة السارد الحياتية"(الحازمي،١٤٤٢،ص٨)، وقوله في موضع آخر: "تاركا لقلمي حرية السرد". فالمؤلف ينظر إلى فعل الكتابة في هذا الكتاب بصفته سردا، كما ينظر إلى نفسه بصفته ساردا.

وتأتي الإشارة إلى باعث التأليف من قبل المؤلف في هذا المجال بصفته **العنصر السادس** من عناصر مؤشرات الوعي النظري بجنس كتابة السيرة الذاتية: وهو ما نص عليه بقوله:

> "ترددت كثيرا قبل أن أستسلم لإجابة دعوات الأصحاب الأقربين، وخلّص المحبين، الذين طالبوني، وألحوا عليّ بكتابة شيء من سيرتي الذاتية، مبررين ذلك: بأن كتابتك لسيرتك الذاتية، قد يستفيد من قراءتها ومن بعض المواقف التي ستذكرها فيها، أجيال حاضرة، وأجيال قادمة...[إلى قوله] وأمام إلحاحهم استسلمت لوجاهة الطلب برغم خوفي من طغيان الوسائل الحديثة على القراءة المتأنية المستوعبة، وخوفي أن أسرف على نفسي بذكر بعض النجاحات التي وفقني الله لتحقيقها – برغم اليتم – فيلحقني بسبب ذلك بعض الإثم"(الحازمي،١٤٤٢،ص٧).

يبدي المؤلف هنا مسايرته في هذا العنصر لعدد من المؤلفين في جنس السيرة "من حيث بواعث التأليف" حيث التردد في البداية قبل حزم الأمر أخيرا استجابة لإلحاح المقربين من الأصدقاء والأقارب، وإقناعهم بالجدوى والفائدة المرجوة للأجيال التي لم تعاصر الظروف والمواقف المختلفة التي عاصرها المؤلف، وغير ذلك من البواعث المشتركة لدى مؤلفي السيرة، كتسويغهم إقدامَهم على الحديث عن النفس - مع ما فيه من خوف الوقوع في الإثم - بأن هذا الحديث من باب التحدث بنعم الله، على غرار ما فعله بعض الأقدمين. وهي البواعث الداخلية والخارجية التي بسط الحديث عنها المختصون في جنس السيرة الذاتية. (الحيدري١٤٢٤،ص٣٥٦-٣٦٩).

تمثل العناصر الستة السابقة أبرز ملامح الوعي النظري بكتابة السيرة الذاتية المستقاة من قراءات المؤلف في كتب السيرة الذاتية بحسب ما جسدته مقدمة كتاب"من مشاوير الحياة، سيرة إنسان ومسيرة مجتمع" للأستاذ حجاب بن يحيى الحازمي. في حين تبرز عناصر ملامح وعي أخرى مستقاة من مصادر أخرى، يمكن أن يستشفها القارئ من عتبات الكتاب وبدايته.

٢- الإفادة من الأطروحات النقدية ومراجعات كتب السيرة الذاتية:

إلى جانب ما تقدم ذكره من عناصر ملامح الوعي النظري بكتابة السيرة لدى الأستاذ حجاب الحازمي يتضح للقارئ في متن كتاب "من مشاوير الحياة" إفادة المؤلف من آراء النقاد والدارسين المختصين في جنس السيرة الذاتية قبل الشروع في التأليف. سواء الآراء التي ذُكرت تصوراتُـها في هيئة تنظيرات عن جماليات جنس السيرة الذاتية وضمّنت هذه التصورات نقاطا عامة لوحظت على أغلبية المؤلفين في جنس السيرة الذاتية، أو بعض الآراء التي ظهرت بصفتها مراجعات خاصة بإصدار معين. فمن النوع الأول مقالة "السيرة الذاتية الفنية" لعبد الله

الحيدري. وهي مقالة اشتملت على عدد من النقاط المهمة من أبرزها عدم أخذ مؤلفي كتب السيرة السعوديين بآراء الدارسين المختصين في مجال السيرة الذاتية، حيث رأى:

> "أن عددا من الذين تصدوا لكتابة سيرهم الذاتية من السعوديين لم يأخذوا هذا الأمر باهتمام، وجاءت كتاباتهم عفوية لا يتضح فيها أنهم قرأوا عن أصول كتابتها وقواعدها، ورأي النقاد والدارسين في الأعمال التي خضعت للنقد والتحليل، فغلب على كثير منها: الاستطراد، وإغفال التدرج الزمني، والحشو، والاتكاء على مكاتبات وأوراق هشة لا قيمة لها في السيرة الذاتية، ونظروا إليها على أنها وثائق"(الحيدري، ٢٠١٨، ص٥٤).

ومما اشتملت عليه المقالة من نقاط، حاجة السيرة الذاتية بوصفها عملا إبداعيا، إلى التخطيط المسبق قبل البدء بكتابتها(السابق، ص٥٥)، وحاجتها إلى الترتيب الزمني "فلا نتحدث عن الحياة العملية قبل مراحل التعليم، أو نتحدث عن مراحل التعليم قبل مرحلة الطفولة المبكرة" (السابق، ص٥٦) وحاجتها إلى الانتقائية الصارمة لدى كاتب السيرة في اختيار المهم من مواقف حياته ومقدرته على التضحية بالكثير من الأحداث العادية. (السابق نفسه).

وكثير من النقاط السابقة التي تضمنتها مقالة "السيرة الذاتية الفنية" للحيدري مما يستطيع القارئ ملاحظة أصدائها في كتاب "من مشاوير الحياة" إلى جانب أخذ المؤلف بملاحظات الدارسين ومراجعاتهم لبعض مؤلفات كتب السيرة ولا سيما كتب المؤلفين الذين يشابهون الحازمي في تنوع الاهتمامات العلمية والأدبية لديهم، كعبد الله أبو داهش الذي تجسدت الملاحظات حول كتابه في طوله الفائض الذي جاء في أكثر من "١٥٠٠" صفحة لكثرة ما أودعه فيه من صور وهوامش، أثقلت الكتاب وكان يمكن الاستغناء عنها لكونها لا تعدو رسائل إخوانية ص(السابق، ص٧٠) وكذلك الملاحظات على كتاب "الحماد" الذي وصف الحيدريُّ طريقةَ التنظيم والإخراج في كتابه بالبدائي الذي غلب عليه طابع الفوضوية السائدة لتداخل صور الوثائق وأغلفة مؤلفاته مع مادة الكتاب(السابق، ص٧٦). وتبدو إفادة الكاتب الحازمي في الاهتمام بالتواريخ الزمنية، سواء بإثبات التواريخ مباشرة في ثنايا متن الكتاب، أو من خلال ربط الحدث الذي يتحدث عنه بالمرحلة والسنة الدراسية، وكذلك الاهتمام بالعناوين التي تتخلل السرد - تبدو هذه الإفادة بوصفها تلافيا للقليل من الملاحظات التي وجهت إلى الكتب الجيدة في السيرة ككتاب "غربة المكان، لإبراهيم الحميدان" وهو الكتاب الذي خلا من الانتقادات الأساسية ولم يكن ينقصه سوى الإشارة للتواريخ الزمنية، ووضع العناوين الشارحة الملخصة للمضمون بدلا من الأرقام التي قُسِّم العملُ إلى فصول على أساسها، وهو التقسيم الأنسب للروايات، لا لكتب السيرة(السابق، ص ٦١).

وأخذُ المؤلفِ الحازميُّ بهذه الملاحظات وغيرها، هو ما سنرى انعكاسه على منهجية التأليف، وعلى الطبيعة النهائية التي خرج بها كتاب "من مشاوير الحياة" على نحو ما سيتم تفصيله، فيما يلي من صفحات بالمبحث الثاني من هذه الورقة.

المبحث الثاني: انعكاس ملامح الوعي على منهجية المؤلف بالكتاب:

أولا: انعكاسات على صناعة "الكتاب":

أ - تخطيط وتنظيم وتقسيم المضمون والمحتويات

يتشكل كتاب "من مشاوير الحياة..." للأستاذ حجاب الحازمي من قسمين رئيسين هما:

١: المشاوير التعليمية والعلمية. ٢: المشاوير الثقافية والأدبية، وقبل القسمين وبعدهما مقدمة وتمهيد وملاحق.

ويبدو هذا التقسيم من حيث القالب العام شبيها في تبويبه وخطة تأليفه بتقسيمات الرسائل العلمية. وكل قسم من القسمين الرئيسين يحتوي تقسيمات تفريعية، وكأننا إزاء أبواب تتقسم إلى فصول، ثم إلى مباحث، ومَطَالب. فالقسم الأول المشاوير التعليمية والعلمية، ينقسم بدوره إلى قسمين: الأول: مراحل التعليم، والثاني مراحل الحياة العملية في العمل بالتعليم. ولو واصلنا التدقيق، فسنجد قسم التعليم فيه تقسيم تفريعي أيضا، إلى مرحلة تعليم قبل التعليم النظامي، ثم تعليم نظامي يتوزع بحسب مراحله الزمنية. وهذا التقسيم والتبويب يشير بشكله العام إلى أول ملامح الوعي بأهمية تنظيم المحتوى وتوزيعه.

وعندما يتصفح القارئ مادة القسمين الرئيسيين يجدها تتكون من "٤٥٦" صفحة. وهذا الرقم وحده يشير إلى الاختزال والتركيز في المحتوى لكتاب عن سيرة حياة ثرية الاتجاهات. الأمر الذي يعكس استفادة المؤلف من ملاحظات الدارسين عن مبالغة بعض مؤلفي كتب السيرة الذاتية في طول المحتوى. وعندما يستثنى من هذا المحتوى قرابة "٩٩" صفحة رصد فيها المؤلف جوانب تطور المجتمع الذي نشأ فيه اجتماعيا واقتصاديا، فإن المحتوى للمتن الفعلي الخاص بحياة الكاتب وما سرده من أحداث ومشاوير يتقلص إلى قرابة "٣٥٦" صفحة.

ومن الأمور اللافتة في سياق تقسيم المحتوى على الصفحات أن القسمين يتقاربان في توزيع عدد الصفحات. فالقسم الأول المشاوير التعليمية، إذا استثنينا منه صفحات مسيرة المجتمع، يصبح "١٧٢" صفحة، في حين تبلغ صفحات القسم الثاني المشاوير الأدبية "١٨٢" صفحة. الأمر الذي يؤكد فعلا تجلي الوعي لدى المؤلف بأهمية عنصر موازنة المادة الأساسية التي تمثل متن الكتاب في شطريه المشاوير التعليمية والمشاوير الثقافية ، ويشير إلى أن ملمح الوعي هذا ليس من قبيل المصادفة، وإنما من قبيل ممارسة التشذيب والتنقيح المستمر للمحتوى على نحو ما سيتضح من خلال عناصر أخرى.

ب- الإعداد والتخطيط المسبق للكتاب وأثره في إخراجه وصفّه وتنسيق محتواه:

يتسم كتاب "من مشاوير الحياة" بثرائه فيما يخص عنصري الوثائق والصور الشخصية، فالكتاب يشتمل تقريبا على ما يقارب "٣٥٤" صورة وثيقة وصورة شخصية. وهذا العدد من الصور كان كفيلا لوحده بتضخم الكتاب فيما لو تم إفراد كل صورة في صفحة مستقلة. غير أن ذلك لم يحدث. فعدد الصفحات التي اشتملت على الصور في متن الكتاب يبلغ "١٢٠" منها "٥٠" خمسين صفحة غير مستقلة بعرض الصور، و"٧٠" سبعين صفحة. كانت على هيئة

ملاحق مصغرة من بضع صفحات تستعرض أهم الوثائق والصور في نهاية بعض المراحل والأقسام. كصور ولوحات لبعض الأدوات المستخدمة قديما في المجتمع، وصور الوثائق الشهادات التعليمية وبعض الأنشطة التي شارك فيها المؤلف. إلى جانب "٦٠" ستين صفحة في الملحق الأخير بالكتاب. وهذا يعني أن جميع الصور ال"٣٥٤" لم تستهلك من مجموع صفحات الكتاب المفرغة للصور سوى"١١٠"صفحة من مجموع ٥٣٦ بما فيها الملاحق والفهارس. أي أن المعدل العام لإدراج الصور بالكتاب بلغ "١-٥" أي خُمس صفحات الكتاب. على أن الواقع في الكتاب قد يختلف زيادة ونقصا، بحسب الحاجة وطبيعة الاحتياج لوجود الصور. من هنا كان عامل الصف والإخراج والمتابعة لذلك له دور بالغ في أمرين مهمين هما: المحافظة على حجم الكتاب دون تضخم المحتوى بسبب إرفاق العدد الكبير للوثائق والصور. والأمر الآخر أن تقسيم الصور على قسمين قسم بداخل الكتاب مرافق للمتن يحتوي "٢٣٠" صورة. وقسم في الملاحق بآخر الكتاب يحتوي"١٢٥" هذا الأمر جعل عرض المادة يكتسب التشويق وجمالية عرض المحتوى المطعم بالصور التي كان وجودها ضروريا لتعزيز تلقي المحتوى، إلى جانب الجمع بين عدة صور في الصفحة الواحدة. وهذا التوزيع العددي للصور من دلائل وقرائن التخطيط المبكر للكتاب إذا أضفنا إليه أن جميع الصور عرضت في حجم تصوير ومسح ضوئي احترافي عالي في دقة وضوحه، برغم أن بعض الصور والقصاصات عمرها يتجاوز الأربعين سنة وربما أكثر، وبالرغم أيضا من أنه كان يتم الجمع بين عدة صور في الصفحة الواحدة كما تقدم. الأمر الذي عزز جودة إخراج الكتاب في محتواه الوثائقي المتناغم مع المتن، مع الأخذ بالحسبان جودة تصميم عتبات الكتاب: غلافيه وعناوينه الداخلية.

ثانيا: انعكاسات على أسلوب المؤلف في عرض المحتوى:

١- الاهتمام بوضع العناوين التي تجزئ المحتوى وتجعله في وحدات مضمونية متتابعة:

للعناوين في سرد السيرة الذاتية أهميتها، فإغفالها وعدم الاهتمام بها يجعل الكلام مسترسلا بطريقة قد تؤدي إلى الملل أو التشتت وتداخل الموضوعات. كما أن تجزيء المحتوى على فقرات مطولة من خلال بدائل للعناوين كالأرقام المتسلسلة ، أو الأشكال الرسومية المجردة من الكتابة "كالنجمات" هذا التتقسيم وإن كان يجدي في بعض الأشكال السردية كالرواية والقصة الطويلة إلا أنه في كتابة السيرة الذاتية لا يكفي ولا يغني عن وضع العناوين الشارحة الملخصة لتنوع وتباين المادة المروية. وهذا مما لاحظه بعض الدارسين على بعض المؤلفات السيرية الجيدة.(الحيدري، ٢٠١٨، ص٦١).

لذلك فإن المؤلف في هذا السياق لم يترك المادة دون توزيعها في عناوين تعزز تنظيم المحتوى وتجعله في وحدات مضمونية تعطي القارئ فرصة لالتقاط الأنفاس، إلى جانب ما تمثله هذه العناوين من قيم دلالية بوصفها عتبات نصية يركز بها المؤلف على ما يود أن يضعه ضمن دائرة اهتمام القارئ منذ بداية كل جزء في المادة إجمالا. إلى جانب ما يمثله هذا العمل من سمات أسلوبية اتسمت بها بعض العناوين بصفتها من معززات النزعة القصصية السردية التي تطبع العمل إجمالا.

وبلغت العناوين في القسم الأول ما يقارب ال"٥٠" عنوانا داخليا، وفي القسم الثاني ما يقارب ال"٤١" عنوانا داخليا. وقد أسهمت هذه العناوين في تشكيل مسارد مضمونية للمحتوى

العام بكل قسم، مهمتها مساعدة القارئ والتسهيل عليه فيما لو احتاج العودة إلى جزئية مضمونية ما، فإنه يمكنه العودة إليها من خلال العناوين التي جمعت أيضا في فهرس واحد بآخر الكتاب. ولنا أن نتخيل صعوبة الأمر لو كان الكتاب خاليا من العناوين الفرعية، فحينها سيضطر القارئ إلى تقليب ما يقارب المائتي صفحة في كل مرة يود فيها العودة إلى جزئية محددة في أحد القسمين.

٢- النزعة السردية في أسلوب المؤلف:

تتنوع أساليب كتاب السيرة الذاتية ما بين الأسلوب السردي، والتقريري الإخباري، أو الأسلوب الذي يجمع بين الأسلوبين السردي والإخباري. (الحيدري، ١٤٢٤، ص٤١٦-٤١٧)، ويميل أسلوب المؤلف في كتاب "من مشاوير الحياة" إلى غلبة الأسلوب السردي في معظم الكتاب. ولذلك مظاهر وعناصر عدة يمكن رصد تمظهراتها فيما يلي:

أ- "تقنية" التسلسل والتدرج الزمني في كل قسم من القسمين الرئيسين:

من العناصر المهمة التي شكلت تماسك عرض المحتوى في كتاب "من مشاوير الحياة" مراعاة التسلسل الزمني لسيرورة الأحداث. إذ شكل هذا العامل إلى جانب النزعة السردية العمود الفقري الذي انبنى عليه العمل. ومن السهولة التدليل على ذلك فمشاوير الحياة العلمية والتعليمية تبتدئ من الطفولة المبكرة والتعليم قبل النظامي في المعلامة والكتّاب المتنقل، وصولا إلى مرحلة التخرج في الجامعة. ولا يكسر هذا التراتب الزمني الذي حافظ عليه المؤلف في عرض هذا القسم سوى العودة إلى الجامعة في دورة الدبلوم التربوي بعد "١٨" عاما من الحياة العملية بعد التخرج في مرحلة البكالوريوس، وهي قفزة بررها بمسوغ منطقي هو حرصه على مراعاة التسلسل الموضوعي لمراحل تلقيه التعليم، قبل أن يبدأ التسلسل الزمني للشطر المكمل لهذ القسم وهو الحديث عن مراحل حياته العملية بداية بعمله معلما في المعاهد العلمية بمنطقة نجران ثم انتقاله لمواصلة العمل معلما بالتعليم العام بمنطقته ومحافظته وصولا لتكليفه بالعمل مديرا للمدرسة الثانوية، وصولا إلى عودته للعمل في المعاهد العلمية انتهاء بتقاعده. وهذا الربط بين الحدث والمرحلة العلمية كفى المؤلف وضع التواريخ لأن سنوات الدراسة ومراحلها تشير للتاريخ الزمني الذي يتسلسل مع عمر المؤلف، على أن ذلك لا يعني إغفال المؤلف لكتابة التواريخ الزمنية حينما يقتضي الأمر توضيح التاريخ. ففي الكتاب مواضع عديدة مثبتة بتواريخها الدقيقة.

والأمر نفسه ينطبق على القسم الثاني المشاوير الثقافية والأدبية التي يبدأ فها من المرحلة الثانوية مع أول قصيدة كتبها، ثم أول مقالة نشرها في السنة الجامعية الأولى وأول مشاركة في الإذاعة متدرجا في المحطات بحسب التسلسل الزمني وصولا إلى إسهامه في مع زملائه في تأسيس نادي جازان الأدبي وإسهاماته فيه عضوا لما يقارب "١٨" عاما فرئيس مجلس إدارة لما يقارب "١٤" عاما. ويتميز هذا القسم بعرض مشاويره على هيئة محطات محطة البدايات الأدبية أثناء المرحلة الجامعية، فمحطة النادي الأدبي، فمحطة التأليف الأدبي والعلمي. فمحطة المشاركات بالفعاليات الثقافية والأدبية محليا وعربيا. وكل محطة حافظ فيها على التسلسل الزمني.

والتزام المؤلف بخط التسلسل الزمني في قسمي الكتاب لا يعني خلو عمله من كسر خطية التراتب الزمني في بعض المواضع في عمليات يقوم بها المؤلف من قبيل "الاسترجاع أو الاستباق" لبعض الأحداث، ومن ذلك قفز المؤلف لدى حديثه عن الوقود "القاز" أثناء مرحلة الطفولة إلى استباق الحديث عن مشروع "الكهرباء التجارية" التي حدثت بعد زمن طويل. أو حديثه الاستباقي عن البحث العلمي الذي قدمه أثناء دراسته في مرحلة الدبلوم التربوي بقسم مشاويره العلمية والتعليمية، ونال عليه جائزة التفوق البحثي من الجامعة. وهو البحث نفسه الذي سيتحول إلى مؤلف سيتحدث عنه لاحقا مسترجعا قصة تأليفه في قسم مشاويره الثقافية الأدبية ضمن حديثه عن مؤلفاته. ومثل هذا الكسر حدث كثيرا في الجزء الذي خصصه للحديث عن حياة مجتمعه زراعيا واجتماعيا وعمرانيا، فكثيرا ما كان يقفز من زمن إلى زمن للتذكير بالفوارق التي أحدثها النمو الحضاري للمجتمع وبيان دور الدولة في إحداث القفزات الهائلة على مستوى الصعد صحيا وتعليميا وتنمويا.

ب - الميل إلى أسلوب القص والتشويق: في العتبات والمتن:

تقدمت بعض إشارات المؤلف إلى عنصر السرد في مقدمة الكتاب كوصفه لنفسه بالسارد. وقوله عن أسلوبه بأنه "سيترك لقلمه حرية السرد". وإلى جانب تلك الإشارات فقد عمد أيضا إلى عنونة بعض المواقف والأحداث التي استعرضها في مشاويره بالقصة والقصص، بشكل مباشر كعنوان "قصص بعض متاعب السفر" وعنوان "قصة اختيار كلية اللغة العربية". كما لجأ إلى صياغة بعض العناوين بما يوحي بانطوائها على قصة أو حدث قصصي كهذه العناوين "قبولي بالمعهد.. وحصول بعض العقبات"، "نجاحي في الدور الأول من الصف التمهيدي بعد تصحيح الخطأ الذي حصل عند إعلان النتيجة". "اختبار الشهادة الثانوية ... وإعلان نجاحي فيها"، "بداية مراحل التسجيل في الجامعة والبحث عن سكن".. "المشاركة في الاحتفاء بصدور العدد "١٠٠" من مجلة الفيصل وأول لقاء مباشر بعلامة الجزيرة العربية حمد الجاسر". وأمثلة هذه العناوين كثيرة، ويلاحظ فيها عنصر التشويق، من خلال التركيب الأسلوبي للعنوان. فعلى سبيل المثال العنوان الأخير للمشاركة في احتفاء مجلة الفيصل بعددها ال"١٠٠". مع أنه حدث غير عادي لأنه لن يتكرر إلا بعد "١٠٠" عدد مع ذلك تبدو مناسبة ثقافية كغيرها من المناسبات، لكن إضافة اللقاء بالعلامة حمد الجاسر أضفى التشويق لدى القارئ إلى معرفة تفاصيل هذا اللقاء.

ج- صيغ تتابع السرد:

يغلب طابع أسلوب السرد على معظم متن الكتاب ولا سيما القسم الأول منه المشاوير التعليمية والعلمية حتى في الجزئيات التي تكون مسبوقة بتحليل حدث معين إذ غالبا ما نجده بعد مثل هذه الموضوعات يستخدم الصيغ التي تشير إلى تسلسل الحديث وربط بعضه ببعض. فبعد حديثة في البداية عن أسرته ومكانتها العلمية، نجده يستهل حديثه عن تعليمه الأولي قبل النظامي بقوله: "وهكذا فقد نشأت في أسرة علمية(الحازمي، ١٤٤٢ص٣٠) وهكذا فقد تلقيت القرآن على يدي والدتي(السابق،ص٣١). أو استخدام الفعل كان بكثرة كقوله: "وكانت الوالدة إذا أرادت السفر لأي غرض من الأغراض التي ذكرناها"(السابق،ص٣٢) وقوله: "كان ذلك هو دأب الوالدة إذا كانت مدة السفر غير طويلة"(السابق،ص٣٣). و"كان السفر على الجمال بطيئا، فكنا

في بعض المرات تطول ايام سفرنا"(السابق،ص٣٣). "كنا نترحل ونستريح..."(السابق، نفسه).

وأغلب مقاطع متن الكتاب يتم سردها على هذه الطريقة. عبر هذه الصيغ. حتى في الماءة صفحة التي خصصها للحديث عن الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية للمجتمع الذي نشأ فيه نجده يستخدم هذه الصيغ بكثرة، كقوله: "فقد كانت أحوال الطرق حينذاك... ولم تكن بقية الخدمات الضرورية أحسن حالا...فقد كان حال التعليم مثلا يعاني من نقص كبير في شموليته.. فلم يكن في منطقة جازان.. فقد كانت لا توجد في المنطقة على سعتها وكثرة مدنها وقراها سوى أربع مدارس، ذلك المعهد كان مبنيا من القش.. كان غالبية المدرسين في ذلك الوقت يستقدمون من بعض البلدان العربية...(السابق،ص٥٠-٥١).

د- تنويع ضمائر المتحدث"الراوي":

يسيطر ضمير الراوي المتكلم المفرد على أغلب الكتاب إلى جانب ضمير المتكلم بصيغة الجمع، على نحو أقل.

والأمثلة على ضمير المفرد المتكلم كثيرة كقوله:" ولقد شريت الجاز أو القاز في صغري لاستخدامات منزلنا"(السابق،ص٧٩) "حيث درست على ضوئه" "وقد كنت أنا واحدا من هذه الفئة"(السابق،ص٩٤).. وقوله: "وبعد فهذا الذي ذكرته عن وصف المباني الشعبية...كل ذلك إنما هو وصف تقريبي لما رأيته وعايشته أيام طفولتي وفي بعض أيام شبابي، فهو جزء من سيرتي الذاتية، وسيرة مجتمعي "الاجتماعية، والثقافية، والعمرانية" حاولت رصده؛ لتدرك الأجيال كيف يبني المخلصون أوطانهم" (السابق،ص٨٢). أما ضمير المتكلم بصيغة الجمع فغالبا ما كان يستخدم للربط بعد المقاطع والاستطرادات الطويلة كقوله: "نعود الآن إلى ذكر المنازل" (السابق،ص٥٩). وقوله: "انتهينا الآن من ذكر كذا وكذا". "وغيرها من الأغراض التي ذكرناها"(السابق،ص٣٢).

ويلفت النظر خروجه في مرات نادرة جدا من ضمير المتكلم للحديث عن ذاته بضمير الغائب كقوله في أحد المقاطع: "وأود أن أوضح بأن صاحب هذا الاهتمام المبكر بالدراسة، وصاحب هذا النهم الشديد للقراءة، وتلك الرغبة في الاطلاع، صاحب هذه الاهتمامات لم يكن نشاطه في أيام طفولته مقتصرا على هذه الاهتمامات فقط...فهو لم يكن بمعزل عن شؤون الحياة الخاصة، أو العامة، ولم يحرم نفسه من مشاركة "لداته" في الاستمتاع بالألعاب السائدة آنذاك"ص١١٣.. وهذه الأمثلة المذكورة في هذه الجزئية المتعلقة باستخدام الضمائر وتنوع الأزمنة ما بين زمن الحدث المحكي وزمن الكتابة التأليف لعلها مما يستهوي الباحثين من المختصين بالسرد لدراسة الكتاب من هذا المنظور مع باقي مفاهيم النظرية السردية.

هـ - توظيف أسلوب الحبكة القصصية في صياغة المواقف المؤثرة:

يعد عنصر التشويق والإثارة في سرد عدد من المواقف و الأحداث المؤثرة التي مر بها المؤلف أحد عوامل التفوق المهمة في أسلوب الكاتب لجذب القارئ، ويضاف إليها حسن توظيف هذه المواقف في كل مرحلة من مراحل حياة المؤلف. مع ربط أغلب المواقف بمؤثر عاطفي مفصلي له انعكاساته على السياق العام لسيرة المؤلف. ففي مرحلة الطفولة المبكرة من

حياة المؤلف يبدو هذا العنصر في صفة "اليتم" يتم المؤلف في عمر السنتين من جهة الأب - والعلاقة والارتباط الكبير بين المؤلف الطفل ووالدته وكونه "وحيدها" - يبدو هذه العنصر وهذه العلاقة ملقيين بظلالهما على معظم أحداث تلك المرحلة.. لذلك حين يختار المؤلف من مواقف الطفولة المبكرة "موقف سيره وحيدا على قدميه وهو طفل بين قريتي "القضب" و"رملان" لمسافة تقارب الخمسة كم تقريبا يغالب البكاء والتعب بحثا عن أمه التي نهض من نومه ولم يجدها" – فإن هذه الموقف يكون له بالغ التأثير في ضوء تلك العلاقة بين الأم ووحيدها اليتيم. ويكون أثر تفاعل القارئ وانجذابه مضاعفا لدى تتبعه لهذا الحدث المؤثر، المروي بأسلوب متميز يجمع بين استحضار مشاعر الطفل في تلك الرحلة الشاقة، وذهول الأم وفرحها بوصوله سليما من هذه المغامرة.

وكذلك تلقي العلاقة مع الأم وعنصر اليتم وكون السارد وحيد الأم بظلالها على كثير من المواقف المؤثرة والقرارات المفصلية التي حدثت في هذه المرحلة "مرحلة التعليم العام المتوسط والثانوي". وصولا إلى آخر المواقف المؤثرة في هذه المرحلة وهو موقف مرض الكاتب قبل اختبار شهادة الثانوية. وهو المرض الذي كاد يعصف تقريبا بطموحاته في تلك المرحلة، وكيف اضطره المرض للعودة إلى قريته، والانقطاع عن الدراسة لمدة شهرين، وتزامن شفائه من ذلك المرض مع رزقه بمولوده الأول، وتحقق النجاح له بعد كل هذه الأوقات العصيبة.

ويعد السفر والاغتراب عن أماكن الأم والطفولة الأولى المبكرة عنصر التأثير العاطفي الثاني الذي له أثر كبير في سرد الكثير من المواقف والأحداث. بداية برحلات السفر على الأقدام إلى مدينة صامطة للدراسة بالمعهد العلمي وما تخلل هذه الرحلات من مواقف عديدة وصعوبات بالغة المشقة سردها المؤلف بأساليب مشوقة تجعل القارئ يستشعر تلك اللحظات والصعوبات. وصولا إلى أول المواقف التي يرويها الكاتب في مرحلة الشباب ذلك الموقف الذي تخلل أول سفر له إلى مدينة الرياض حيث كان سفره برا من الطائف إلى الرياض للتقديم في الجامعة مع مجموعة من المسافرين و تعرضهم للضياع بالسيارة التي كانت تقلهم في الطريق الذي كان جزء منه ترابيا، ومظلما. وتعرضهم للتهديد بالسلاح، ثم انفراجة الموقف والقصة.

والخلاصة أن القسم الأول رحلة المؤلف في التعليم منذ الطفولة المبكرة وصولا إلى التخرج في الجامعة وبداية تشكله أدبيا وثقافيا يكاد يقارب في أسلوبه السردي الرواية السيرية أو أنه كان نواة لمشروع من قبيل ذلك تكون بعنوان رحلتي أو أيامي مع التعليم.

٣- تقنيات الاختيار والانتقاء للمضامين "الأحداث والشخصيات"

من العناصر التي ألح على أهميتها نقاد ودارسو جنس السيرة عنصر الانتقائية الصارمة التي "تستبعد غير المهم وتضحي بالكثير من الأحداث العادية، الاقتصار على اختيار الحدث المهم المؤثر" (الحيدري، ٢٠١٨،ص٥٦) وما من شك في أن حياة المؤلف واهتماماته المتنوعة في حياتيه الوظيفية التعليمية والإدارة الثقافية وكونه شخصية قيادية، قد جعلته يمر بمئات الشخصيات وآلاف المواقف، غير أن الملاحظ أنه قد قام بعمليات اختيار وتنقية للأبرز فالأبرز.

أ- اختيار الأحداث والمواقف المهمة التي عاصرها المؤلف:

إلى جانب المواقف المؤثرة التي سردها المؤلف في قالب قصصي على نحو ما سبقت الإشارة إلى أمثلته منها يأتي اختياره لبعض الأحداث المهمة، التي يميزها بأنها إما أحداث طبيعية نادرة الحدوث ويجدر الإشارة إليها، أو أحداث تمثل لحظات تاريخية مهمة في حياة المجتمع السعودي. فمن الأولى الأحداث الطبيعية النادرة، حدث رؤية الكاتب لأول مرة للأسراب المهولة من الجراد التي تهاجم الحقول، أو حدث تعرضه لأول لدغة عقرب. ومن الثانية الأحداث التي تمثل لحظات تاريخية، كحدث زيارة الملك سعود لمنطقة جازان التي استعان في وصفها بكتابة المؤرخ العقيلي، ومنها حدث افتتاح بث التلفزيون السعودي لأول مرة. وكذلك حدث إطلاق التيار الكهربائي التجاري بالقرية في منزل الكاتب عبر مشروع خاص مع أخيه الأكبر من أبيه.

ب- اختيار أبرز الشخصيات المعروفة التي التقى بها في مسيرته:

جاء اختيار المؤلف لورود الشخصيات في الكتاب وفقا لمرشحات اختيارات خاصة خاضعة لعنصرين: الأول الأهمية التي تمثلها الشخصية في المجتمع، والثاني: الأهمية فيما مثلته من دور محوري في بناء شخصية المؤلف. ومن هذه الشخصيات ممن هم أساتذة أم مشائخ للكاتب جاء اختيار القاضي أحمد بن حسن عاكش الذي كان له دور في تشجيع المؤلف في مرحلتي الطفولة والشباب ومنهم معالي الشيخ عبد الله عبد المحسن التركي، عميد كلية اللغة العربية برئاسة المعاهد العلمية - آنذاك - وعبد الرحمن رأفت الباشا، المحاضر بالكلية نفسها. وعبد القدوس أبو صالح، إلى جانب سرده لأسماء عدد من أساتذته، في نهاية كل مرحلة. وكذلك زملائه والإشارة لمن تبوأ منهم بعض المناصب. في حين اقتصرت إشارات المؤلف للشخصيات في القسم الثاني من الكتاب على الأدباء الكبار الذين كان يعد مشاركة المؤلف لهم إنجازا وبخاصة في بدايات كل محطة. كالعقيلي والسنوسي ومحمد حسن عواد والمؤرخ والأديب حمد الجاسر.. وكذلك الإشارة لبعض الشخصيات من المسؤولين الذين التقاهم أثناء المهام الوظيفية الإدارية. ومنهم الأسماء البارزة التي استضافها النادي الأدبي إبان رئاسته. والشخصيات الهامة على صعيد الهرم الإداري الحكومي.

٤- تقنية التبويب المرحلي/الموضوعاتي : المحطات الثقافية:

مثّل التدرج الزمني وتسلسل الأحداث في القسم الأول المشاوير التعليمية رابطا موضوعاتيا فالعرض في هذا القسم يشبه الرحلة التعليمية التي بدأت منذ الطفولة المبكرة وصولا إلى مرحلة التخرج فالانخراط في الحياة التعليمية، وصولا إلى مرحلة التقاعد.

وفي القسم الثاني "المشاوير الأدبية والثقافية" واصل المؤلف الالتزام بالتدرج الزمني غير أنه قسمه إلى محطات ثقافية. انتهج فيها نهج الحديث من الأخص إلى الأعم. فهناك أولا: مرحلة العمل بالنادي الأدبي التي استمرت ربع قرن ونيف من السنوات تقريبا. وهناك محطة التأليف ورحلة الكاتب في تأليف مؤلفاته التي استمرت ما يقارب نصف قرن وأكثر. وهناك محطة المشاركات المتنوعة والمتداخلة اجتماعيا وثقافيا ووطنيا التي تتوزع على امتداد حياة المؤلف. لذلك كان تنظيم هذه المحطات على هذا النحو مهما في التركيز على كل مرحلة. ولا سيما أهم محطتين في مشاوير الكاتب الأدبية والثقافية وهما:

أ- محطة النادي الأدبي:

مرحلة العمل بالنادي الأدبي تنقسم إلى مرحلتين مرحلة عضوية مجلس إدارة النادي، ومرحلة رئاسة مجلس إدارة النادي. ويبدأ الكاتب الحديث عن محطة النادي الأدبي منذ إسهامه مع باقي الأعضاء المؤسسين للنادي الأدبي في تأسيسه وخوض غمار أول دورة انتخابات لمجلس إداراته، وثاني دورة، واستمراره في العمل مع زملائه بصفته عضو مجلس إدارة. ثم يتحدث في المرحلة الثانية عن فترات رئاسته للنادي الأدبي وما تحقق للنادي من منجزات ومشاركات وفعاليات استضافة في فترات رئاسته لمجلس إدارته. على صعيدي المطبوعات من الكتب والدوريات كدوريتي مرافئ وأصوات. واستضافة الفعاليات الكبرى ومنها مؤتمر رؤساء الأندية الأدبية.. ورعاية الفعاليات من قبل سمو أمير المنطقة. وإنشاء ورشة الاثنينية وما أسهمت به من إخراج أسماء شابة. وهذه المرحلة لم تكن مرحلة ذهبية في سيرة المؤلف فحسب، وإنما كانت ذهبية أيضا في الحراكين الثقافي الأدبي ومركزية الأندية الأدبية في تلك الفترة خاصة والأندية الأدبية إبان تلك الفترة التي يتحدث عنها المؤلف تشكل أهم المؤسسات الثقافية على مستوى الوطن، وعلى مستوى التفاعل الجماهيري المنبري، وعلى مستوى الحراك التأليفي، والتنافس فيما بين الأندية الأدبية على التميز في استقطاب الفعاليات، وفي إصدار أبرز المطبوعات كتبا ودوريات. ومن المؤكد أن المؤلف قد مارس اختزالا كبيرا في هذا الجانب، على الرغم مما به ثراء وأحداث شكل بعضها صخبا وجدلا ثقافيا. وهذا مما يعزز أخذه بتقنية الاختيار والانتقاء للأهم من هذه المرحلة في عرض بانورامي.

ب- محطة التأليف: الحديث المقتضب عن مؤلفات الكاتب وإضاءات جديدة حولها:

في حديث المؤلف عن كتبه الصادرة اقتصر على ذكر قصة تأليف كل كتاب مع عرض مختصر لموضوعه ومقتطفات من آراء بعض الدارسين حول الكتاب، وأهم ما حققه كل كتاب من أصداء وإشادات لافتة بعضها من كبار شخصيات الوطن. ومما يحمد للكاتب تجنبه إيراد مقتطفات مطولة أو كثيرة من الكتب نفسها أو من خلال ما تم حولها من مراجعات مكتفيا بالإحالة عليها، على الرغم من كثرة ما كتب حول بعض الكتب من مراجعات مطولة أو جدل ونقاش مطول اكتفى المؤلف بالإشارة إليه في اقتضاب شديد. مقابل ذكر تفاصيل تخص بعض المؤلفات التي انتهز فرصة الحديث عنها لبيان بعض الأمور المتعلقة بها وتوضيح ما كان يهدف إليه منها وعدم فهم بعض الباحثين لغاياته فيها ككتاب نبذة تاريخية عن التعليم في تهامة المخلاف السليماني وعسير. وحديثه عن بعض المؤلفات الأخرى التي كان قد قطع فيها أشواطا كبيرة من الجهد وجمع المادة والمخطوطات الأصلية كديوان القاسم بن هتيمل ومشروع المؤلف في تحقيقه ومن ثم توقفه فيه لعلمه بباحثين آخرين يعملون على الكتاب لنيل درجات علمية. وكيفية تقديره لعملهم، وكيف قوبل هذا العمل والموقف من قبل هؤلاء الباحثين لاحقا. والكتاب السيري الغيري المشترك بينه وبين مؤلف آخر عن حياة الأمير خالد الأحمد السديري. والعتاب الأخوي الذي همس به في ثنايا الحديث عن الكيفية التي خرج بها الكتاب دون اطلاعه على مسودته الأخيرة قبل طباعته. ويبلغ طول صفحات هذه المحطة قريبا من خمسين صفحة استعرض فيها المؤلف مؤلفاته المطبوعة ال"١٤" وبضعة مؤلفات مخطوطة يعمل عليها. واختزال الحديث عن كل مؤلف فيما يقارب ال"٣" صفحات يعزز أخذ المؤلف بتقنية الاختيار والاختزال الشديد إذا علمنا أن بعض هذه المؤلفات يفوق ال "٥٠٠" صفحة.

ج- محطة المشاركات الوطنية والثقافية والاجتماعية:

وهذه المحطة محطة ثرية كثيفة بالمشاركات الوطنية والاجتماعية التي تبدأ من المجتمع المحلي على مستوى محافظة المؤلف، وصولا للمشاركات الخارجية وتمثيل الوطن في محافلها. كتكليفه برئاسة أو عضوية بعض اللجان العاملة في بعض المجالس والأمانات أو المناسبات والفعاليات، كعضوية لجان تحكيم الجوائز الثقافية، وأمانات بعض المجالس، والمشاركات الثقافية داخليا وخارجيا، والمساهمات في الأعمال المجتمعية والوطنية كالتعداد السكاني ولجان إصلاح ذات البين ولجان المطالبة بالمشاريع التنموية ولجان الجمعيات الخيرية... وتعد هذه المحطة بمثابة "محطة متنوعة" ضمت أغلب مشاركات المؤلف المتنوعة ثقافيا واجتماعيا ووطنيا التي تخللت حياته العملية الثرية بالمشاركات، وبلغ طول هذه المحطة ما يقارب سبعا وخمسين صفحة. ويأتي هذا الطول النسبي لهذه المحطة بصفته استدراكا لكل ما لم يمكنه إدراجه من المشاركات المهمة في السياقات الزمنية أو المحطات السابقة.

٥- تقنية التلخيص والإيجاز لأهم المحطات في شذرات بيبلوجرافية ومسارد موجزة:

وهذا الملمح في تصوري من أهم العناصر في الكتاب، ومن الأمور اللافتة التي جعلها المؤلف خاتمة لأجزاء الكتاب قبل الجزء المخصص للملاحق. وهي مقتطفات أشبه **بالبيبلوجرافيات والفهرسة المتنوعة** المختزلة لأهم محطات حياة الكاتب وهذه المسارد عززت **الكثافة والإيجاز** في الكتاب، وغطت على عدد من النقاط التي قد يكون سها عنها المؤلف في متن الكتاب بكلا قسميه. وجاءت هذه المسارد على معظم الدعوات لأهم الفعاليات الثقافية، والمنجزات والأولويات المهمة بحياة الكاتب حيث عدد أهم الأوليات في حياته، وأهم المنجزات، وأهم الاعتزازات "لدرجة أن المتصفح لو لم يتصفح سوى سيرة المؤلف المختصرة في بداية الكتاب، والمسارد المختصرة في آخر الكتاب والصور وشروحاتها لكان ذلك كافيا "إلى حد ما" لتشكيل انطباع عن أهم محطات ومشاوير الكاتب الحياتية والعلمية والأدبية.

٦- تقنية توظيف الملاحق:

جاء استثمار الملاحق بشكل راعى البدء فيها بالأهم فالأهم أولا الجوائز التي نالها المؤلف وأبرزها جائزة ومنحة الأمير سلمان بن عبد العزيز لدراسات وبحوث تاريخ الجزيرة العربية.. وجائزة الأمير محمد بن ناصر للتفوق فرع الشخصية الثقافية.. ثانيا التكريمات ومن أهمها تكريمه في اثنينة عبد المقصود خوجة وتكريمه في جامعة جازان وتكريمه بإصدار خاص من ملحق الجزيرة الثقافية.. ويتلو ذلك ملف للصور المتنوعة لمشاركات المؤلف في العديد من الفعاليات بداية بصوره أثناء تتويجه بجائزة منحة الأمير سلمان خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز حفظه الله الذي كان أميرا على الرياض آنذاك. ثم تتوالى الصور في ملف خاص بها مذيلة بالشروح التي توضح مناسبة كل صورة وأهم الشخصيات فيها.

الخاتمة:

سعت هذه الورقة إلى تتبع ملامح الوعي بتقنيات الكتابة السيرية في كتاب من مشاوير الحياة سيرة إنسان ومسيرة مجتمع للأستاذ حجاب بن يحيى الحازمي. ومن أبرز ما توصلت إليه الورقة ما يلي:

- تجلت ملامح الوعي النظري لدى الكاتب بالتأليف في السيرة الذاتية من خلال ما ظهر من قراءات للمؤلف في كتب السيرة الذاتية ووضوح مستويات هذه القراءات التي تجازوت الاطلاع إلى الفرز ومعرفة المتشابه والمتكرر من أساليب كتاب السيرة محليا وعربيا ومحاولة المؤلف الخروج عن السائد والمكرر مستندا في ذلك على عدد من القراءات في الأطروحات النقدية ومراجعات كتب السيرة الذاتية.
- ظهر انعكاس ملامح الوعي على منهجية المؤلف في صناعة "الكتاب" من تخطيط وتنظيم وتقسيم المضمون والمحتويات، وظهور بوادر الإعداد الجيد والتخطيط المسبق للكتاب وأثره في إخراج الكتاب وصفه وتنسيق محتواه.
- تتضح انعكاسات ملامح الوعي على أسلوب المؤلف في عرض المحتوى من حيث الاهتمام بوضع العناوين التي تجزئ المحتوى وتجعله في وحدات مضمونية متتابعة، ومن حيث توظيفه النزعة السردية متجلية عبر التسلسل الزمني في كل قسم من القسمين الرئيسين للكتاب، وعبر الميل إلى أسلوب القص والتشويق "في العتبات، وفي المتن" حيث ظهرت لديه صيغ تتابع السرد وتسلسل الأحداث، وكذلك تنوعت لديه ضمائر المتحدث "الراوي" و توظيف أسلوب الحبكة القصصية في صياغة المواقف.
- برزت لدى المؤلف استفادته من عدد من التقنيات كتقنيات الاختيار والانتقاء للمضامين "الأحداث والشخصيات" حيث اختيار الأحداث المهمة التي عاصرها المؤلف، واختيار أبرز الشخصيات التي التقى بها في مسيرته وفق مرشحات اختيار تحدد المهم من الأحداث بصفته حوادث طبيعية نادرة الحدوث، أو حوادث تمثل تحولات اجتماعية كبرى في المجتمع.
- اعتمد المؤلف على تقنية التبويب المرحلي/ الموضوعاتي : المحطات الثقافية: مقسما إياها إلى محطة النادي الأدبي التي تختصر "٣٥" خمسة وثلاثين عاما من مسيرة المؤلف في العمل الإداري الثقافي، ومحطة التأليف: التي اشتملت على الحديث المقتضب عن مؤلفات الكاتب وإضاءات جديدة حولها والبالغ عددها "١٥" خمسة عشر مؤلفا. وأخيرا محطة المشاركات المتنوعة: الوطنية والثقافية والاجتماعية.
- عمد المؤلف في ختام الكتاب إلى العمل بتقنية التلخيص والإيجاز لأهم المحطات في شذرات بيبلوجرافية ومسارد موجزة، تلخص أبرز منجزاته وتكريماته، وأهم الدعوات للمشاركات الثقافية، وأبرز الأولويات في حياته، وهذه المسارد من أبرز ما يتميز به كتاب "من مشاوير الحياة" .
- وختاما ظهر توظيف الملاحق وترتيب العرض فيها على نحو جيد يراعي التسلسل ووضع الشروح على كل صورة من صور الملاحق، فأبرز الترتيب: أولا الجوائز، وثانيا التكريمات، وثالثا أهم الصور لأبرز محطات حياة المؤلف.
- تجلى في الكتاب إجمالا انكاس الوعي بتقنيات الكتابة في جنس السيرة الذاتية بما جعل الكتاب مميزا في محتواه ومضمونه، وفي نجاح المؤلف في إجادة عرض ما لديه من سيرة ثرية في أقل عدد من الصفحات، قياسا ومقارنة بالكتب المماثلة للكتاب في مضمونه.

المصادر والمراجع:

- آل مريع، أحمد بن علي(٢٠١١) السيرة الذاتية مقاربة الحد والمفهوم، المجلة العربية، كتاب المجلة العربية، الرياض.
- الحازمي، حجاب بن يحيى(١٤٤٢) من مشاوير الحياة سيرة إنسان ومسيرة مجتمع، شركة تكوين للنشر والتوزيع، ط١، جدة.
- الحيدري، عبد الله(١٤٢٤) السيرة الذاتية في الأدب السعودي، دار طويق للنشر والتوزيع. ط٢، الرياض.
- الحيدري، عبد الله(٢٠١٨) نظرات وشذرات بحوث ومقالات وحوارات في السيرة الذاتية، دار الانتشار العربي. ط١، بيروت.
- حسن، إيهاب(٢٠١٨) أوديب أو تطور ما بعد الحداثة، ترجمة السيد إمام، دار شهريار، ط١، البصرة العراق.
- زايد، عادل الدرغامي(٢٠٠٨) إشكالية النوع والتجنيس السيرة الذاتية أنموذجا، دورية علامات، ١٧: ٦٥.
- شرف، عبد العزيز(١٩٩٢) أدب السيرة الذاتية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، الجيزة مصر.
- قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية، دارة الملك عبد العزيز ١٤٣٥-٢٠١٤، ط١، الرياض.